نبذات من عظات

ماذا يُسِّر يسوع؟

القمص يوسف أسعد

الكتـــــــاب: مـاذا يُسَـرّ يسوع
المـــؤلــــف: القمص يوسف أسعد
اصـــــــدار: أبناء القمص يوسف أسعد
Email: fatheryoussefassad@hotmail.com
الكمـبـيـوتر:: F.Y. Center ت: ٥٨٢٤٤٨٢
الطبـــعـــة: الأولى ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٦
رقـم الايـداع: ٢٠٠٦/١٩٢٧٤

ماذا يُسِّر يسوع

المسرة التى نسعى إليها لا يمكن أن نحققها إن لم نكن نحب من نريد أن نسره، فعلامة المحبة هى السعى نحو المسرة، فلا يمكن أن يكون فى قلب إنسان محبة حقيقية ويسعى إلى ضيق أو ألم لمن يحبه، إنما **المحبة الحقيقية تسعى باستمرار إلى مسرة المحبوب.**

فإن كنا فى كل أيام حياتنا نسعى إلى مسرة المسيح.. فمحبتنا وسعينا نحو مسرته لا تكون ناشئة عن تفضل منا، لكن عن إعلان حبه المُسبَّق الذى ظهر على الصليب فى صورة غير متكررة.

من الأمور التى تُسّر يسوع حسبما خرج من فمه فى سفر إرميا يقول: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ. لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا **لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ يَقُولُ الرَّبُّ**» (إر ٩ : ٢٣ـ ٢٤).

فى وضوح شديد لا يقبل اللبس وضع لى الحبيب ما يسره، فلا

يسره من يفتخر بحكمته أو قوته أو غناه، ولكن الذى يسره أن يفهمه الإنسان ويعرفه، والفهم يسبق المعرفة لأن الفهم يعطى الإنسان معرفة سليمة لمقاصد الله.. **وهو فى كل صنيعه يصنع ثلاث أشياء:**

١ـ صانع رحمة: فالله عندما يرسل الموت أو الأوبئة أو المرض أو التجربة أو عندما يرسل التعزية أو الفرح فهو صانع رحمة.

٢ـ صانع قضاء: والقاضى لا ينظر بالمحاباة إنما بحسب نص قانونى وبحسب مستندات وأدلة يستطيع أن يحكم فى القضية، فالله قاضى فى الأرض، وكلمة قاضى تجعلنى فى كل منازعة ـ حتى داخل نفسى ـ ألجأ إليه، فإن لم أفهم أنه هو القاضى فقد ألجأ أحياناً «لأَبْآراً أَبْآراً مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً» (إر ٢ : ١٣) بينما هو فى حد ذاته «يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ» (إر ٢ : ١٣).

٣ـ صانع عدل: إن كان هو قاضى فى أمور حياتى الداخلية وعلاقاتى بالناس فسألجأ إليه فى ثقة أنه صانع عدل.

فعندما استأجر فعلة للكرم أعطى لمن عمل من أول النهار لآخره ديناراً ولمن عمل من الساعة الثالثة ديناراً ولمن عمل من الساعة السادسة والتاسعة أيضاً ديناراً واحداً، وأيضاً أعطى لمن عمل من

الساعة الحادية عشر ديناراً واحداً، وعندما اعترض الذى عمل من أول اليوم أنه أخذ أجراً كمن عمل ساعة واحدة من النهار أجابه أن **من عمل من أول النهار قد استمتع بمعرفته كل نهار حياته..** وبذلك يكون قد أخذ أكثر من الذى عمل ساعة واحدة من النهار، حتى وإن كانت المجازاة واحدة أى ديناراً واحداً إلا أن الاستمتاع بغنى مواهبه تم من أول اليوم لآخره، وهذا أيضاً عدل سواء كان عدل فى الأجرة أو عدل فى التمتع.

الافتخار بالرب يُسِرّه:

يقول القديس بولس الرسول: «وَأَمَّا مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ» (٢كو ١٠ : ١٧)..

إن من يحب شخصية يكون فخوراً بها، وذلك مهما كان رأى الآخرين فيها، **لأن هذا الفخر ناشئ عن خبرة وعن فهم ومعرفة وناشئ عن تماس مباشر لهذه الشخصية.**

فعندما أحب ربنا يسوع وتأتى سيرته فى وسط أى أشخاص ويكون هو المحتقر وهو الشخصية التى باستمرار لا تُرضى العالم ولا

أهل العالم، أكون أنا فخوراً به، وفخرى هذا يكون ناشئاً عن أنى أعرفه وأفهمه.

الفهم يُسِّره :

فمن يحب إنساناً يفهمه من عينيه ويفهم ماذا يريد، وعندما يشاهده من بعيد يعرفه حتى من ظهره، ونبرات صوته عندما تدخل للأذن تُحمَل للقلب الذى فهم ما هو صوته.

ومن هنا هناك أربع أنواع من الفهم:

١ـ الفهم العقيدى:

مخزى جداً أننا لا نعرف أن نجيب عن أن يسوع كيف يكون ابن الله وهو الله وهو ابن الإنسان، فهذا لا يسِّر يسوع.

إن الأمور العقيدية بصفة عامة تحتاج للفهم وربما تحتاج لكلمات مقننة تعلو أذهان السامعين بينما الفهم يستطيع أن يستوعب العقيدة ويوصلها لأصغر فهم فى قامات أولاد كنيسة المسيح.

إن قلب المسيح يحزن أننا لا نستطيع أن نتكلم عنه كلام

الفاهمين به. فمما يُسِّر المسيح أن نتعب فى الفهم العقيدى عن الثيئوفانيا أو الظهور الإلهى، أو الفهم العقيدى عن السماء والأبدية أو عن الإفخارستيا والتسبيح والصلوات سواء كان تسبيح الملائكة أو صلوات الضعفاء على الأرض، أو الفهم العقيدى لأهمية المزامير وصلواتها فى حياة الكنيسة وكيف أن المزامير تُصلى بفهم.

فى تاريخ الكنيسة يحكى عن البابا ألكسندروس الذى أتى بعد البابا أثناسيوس الذى كان قد حرم أريوس وأتباعه بسبب بدعته ظاناً أنها قد انتهت، فظن البابا أنه يمكن أن يسمح لهم بخدمة الخلاص، فظهر المسيح بنفسه للقديس ألكسندروس فى حلم الليل وثيابه ممزقة، فسأله البابا: ما الذى مزق ثيابك يا سيدى؟ فأجابه المسيح: إن أريوس هو الذى مزقها، فرجع البابا حالاً عن رفع الحرم عن أريوس ومن معه، وهذا يؤكد لنا كم أن المسيح يفرح عندما نفهم الأمور العقيدية كما يشعر بأن ثوبه ممزق عندما لا نفهمها.

٢ـ الفهم الاختبارى:

جزء أساسى فى توصيل الحياة التقوية الخاشعة لقلوب المؤمنين هو بالفهم الاختبارى، فإن لم أفهمه فلن أستطيع أن أُعرِّف الآخرين به.

أ ـ الفهم الاختبارى للتبكير:

إن السيد المسيح قد ظهر لتلاميذه فى الصباح المبكر جداً على شاطئ بحيرة جنيسارت، وكان بعد القيامة الزمن الذى ظهر فيه يسوع لتلاميذه عند بحر طبرية مبكراً جداً.

فمن الاختبار أن نعرف قيمة التبكير فى لقاء يسوع.

ب ـ الفهم الاختبارى للاهتمام بالأعماق:

الفهم الاختبارى يجعل الإنسان غير متطرف وغير فريسى، فالفريسى يهتم بنقاوة خارج الكأس ويترك عفنه فى الداخل، لهذا قال السيد المسيح: « أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّ الأَعْمَى نَقِّ أَوَّلاً دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ» (مت ٢٣ : ٢٦) **فالفهم الاختبارى يعطينى اهتمام بالأعماق أهم من الظواهر، فلا نرفض الظواهر لكن الأولوية تكون للطهر والنقاوة والأعماق.**

مثال لذلك: فى الطقس الكنسى يستلم الكاهن القربانة من الأسقف إن كان حاضراً بعد أن يقول «مجداً وإكراماً إكراماً ومجداً» ويلف بها حول المذبح، وذلك لأن الأسقف فى طقس الإفخارستيا

يمثل السيد المسيح، والكاهن يمثل الرسل الذين نشروا الحمل وإنجيل الحمل فى أركان الأرض الأربعة، فلذلك الكاهن يستلم القربانة من الأسقف ويلف بها ثم بعد ذلك يسلمها له مرة أخرى، وأيضاً يقول الطقس أن البطريرك أو الأسقف بعد التبخير للإنجيل يسلِّم الشورية للكاهن، وذلك لأن الكاهن هو الذى يدور وسط الشعب إذ يمثل الرسل.

وهنا نجد الأنبا كيرلس السادس كان يعمل دورة البخور وسط الشعب بنفسه، وعندما سُئل أنه غير طقسى أجاب إنه فى دورة البخور يتقابل مع القديس مار مرقس ومع القديسين، لهذا كان مبتسماً وهو يمر بالبخور كأنه يرى القديسين أمامه، ولهذا كان يشعر أن رسامته بطريركاً لا تحرمه من الدورة التى يمكن أن يتلاقى فيها مع أرواح القديسين الحاضرين فى الكنيسة..

وقد رأيناه يبخر بالشورية لكرسى البطريرك وهو فارغ وكان مبتسماً جداً، وعندما سألناه أنه كان يجب أن يجلس على الكرسى ونبخر له فأجاب أن مار مرقس كان واقفاً عند الكرسى، فهذا فهم اختبارى يتجاوز فريسى الطقس.

فاحترام الطقس هدفه توصيل معلومة عقيدية لكن الفهم الإختبارى يعطى لذة فى احترام هذا الفهم الإختبارى.

٣ـ الفهم النظرى:

المقصود به هو الأمور التى ترتبط بالنصوص، إذ أن كل هيئة على الأرض لها قانون منصوص.

فإن كان الفهم الإختبارى يعطينى أن أعيش بالروح فلابد أن يكون عندى فهم للنص أو للنصوص، فلا يجوز لى أن أخطئ ثم أقول أنى أفعل هذا بالروح، أو أظن أن هذا فهم اختبارى ويكون فهمى هذا خاطئ.

إن الفهم بالنصوص يرينى كيف أن **الإرتباط بحفظ نصوص الكتاب المقدس أو أجزاء من الكتاب المقدس هو مسرة يفرح بها الرب.**

ولعل الرب يسوع فى التجربة على الجبل عندما ظهر له الشيطان مجرباً سلَّمنا فى خبرة محاربة الشياطين أهمية النصوص، فكان كل رد يرد فيه على الشيطان يقول له مكتوب، وعندما كان يكلم اليهود كان يحدثهم بالمكتوب، وعندما كان له اثنى عشر سنة ووقف بين

المعلمين يسمعهم ويسألهم «وَالَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ» (لو ٢ : ٤٦) فهذا معناه أن الفهم النظرى بالمكتوب أو بالنصوص جزء أساسى، فمن يريد أن يُسر المسيح يجتهد فى فهم المكتوب.

٤ـ الفهم الحكمى:

المقصود بالفهم الحكمى هو كل ما يختص بالحكمة النازلة من فوق، والتى قد يظهر بها الرب فى اختياراته متناقد مع الطبيعة ومع العقل الإنسانى.

فلسفة الناس القوة أما فلسفة الله أن يختار الضعف ليكمله بالقوة، فعندما أفهم حكمة ربنا فى كل ما أحياه فسوف لا أزدرى بالمزدرى به ولا أحتقر المحتقر ولا أدين المدان، فقد كان المسيح مع اللص الذى كان يستحق أن يكون فى جهنم لأنه قضى حياته كلها فى غابات أورشليم ثم قال: «اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» فقال له: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لو ٢٣ : ٤٢، ٤٣)، وكان مع المرأة التى أمسكت فى ذات الفعل وبحسب المكتوب فهى ترجم ولكن بالفهم الحكمى قال لهم: «مَنْ كَانَ

مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ» (يو ٨ : ٧) فتفرق الجميع عنها.

فالفهم الحكمى يعطينى أن أتعامل مع كل شئ كما هو وأعطيه كرامته كما هو، فعندما أفهم يسوع أعطى العضو المحتقر فى الجسد كرامة أكبر، لأنه مزج الناقص بالكامل وجعل الكل واحداً فيه.

فإن كان هناك جماعة قد أعطاها الرب سلطان بفهم النص وتطبيقه بخوف الله، فعند بحث تصرف إنسان حسب قانون كتاب ربنا وأقوال آبائنا القديسين فهى لا تتعرض للإدانة إذ تفكر بالفهم الحكمى، الفهم الذى وراءه حكمة غير معلومة للغير.

لقد قال الرب يسوع لبطرس الرسول: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يو ١٣ : ٧) فربما آخذ الأمور بالظاهر فلا أفهمها ليس لأن بها خطأ بل لأن استيعابى لها ليس كاملاً، وهذا لا يجعلنى أرفضها أو أدينها، ولكن أعيش بخوف الله وبحكمته.

عندما سأل اليهود يسوع عن المولود أعمى: «مَنْ أَخْطَأَ هذَا أَمْ

أَبَوَاهُ» (يو ٩ : ٢) وكانت هذه هى فلسفتهم أن أباه أو أمه قد أخطأ، أما الفهم الحكمى ليسوع جعله يقول: «لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ» (يو ٩ : ٣).

إن الإنسان الذى يسعى نحو مسرة المسيح هو الإنسان الذى يفهم ليعرف، أو يفهم ويعرف، فالفهم لابد أن يكون سابق.

عندما أرى أبى يعطينى قلماً مؤدباً إياى، فأنا أفهم أبى وأعرف أنه حتى **وإن كان الظاهر حزن للتأديب لكن للفاهم يعرف أن حزن التأديب وراءه فرح وثمر.**

إن هذا النص يجعلنا نتذكر دائماً بمن نفتخر وما هو الفهم الذى يجعل افتخارنا فى صورة مشرفة لصورة المسيح، وما نوعية هذا الفخر فهو قد صنع رحمة وقضاء وعدل فى الأرض كلها ولجميع الناس.

التوبة تُسِّره:

وسط البحث عن الفهم يأتى إلينا ناقوس شديد يحمل إلينا طرقات مستمرة على قلوبنا تذكرنا أن كثيرين قد غرقوا فى الفهم لكنهم عاشوا بعيداً عن التوبة كتنقية مستمرة..

لهذا يقول فى سفر حزقيال الأصحاح الثامن عشر: «تُوبُوا وَارْجِعُوا عَنْ كُلِّ مَعَاصِيكُمْ... وَاعْمَلُوا لأَنْفُسِكُمْ قَلْباً جَدِيداً وَرُوحاً جَدِيدَةً. فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ. **لأَنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ** يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا» (حز ١٨ : ٣٠ـ٣٢).

إن التركيز فى هذا النص على بيت إسرائيل يذكرنى بمن هو إسرائيل، فهو يعقوب المختار الذى جاهد مع الله والناس وأخذ الموعد وصار جمهوراً وصار له بيتاً مختاراً من اثنى عشر سبطاً، وقد اؤتمن على الله ومعرفته فى وسط شعوب لا تعرف الله، وكان يفتخر أن عنده وصايا مكتوبة بإصبع الله، وشيوخاً قد أفهموهم الشريعة وكهنة خرجت من فمهم فهم الشريعة، ولكنه عاش الضلال فى الخطية والطرق الرديئة لأنهم عاشوا الشهوات، فاشتهوا اللحم والكرات وكل ما هو مرتبط بأرض العبودية.

لذلك لا يمكن لمن فهم أن الرب قاضى وعادل أن يقول أنه مع الخطية يكون هناك فرح أو مسرة للرب، لأن الخطية تميت الإنسان وهو حى، وهو الذى قال: «لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ» (يو ١٢ : ٤٧).

إن من يسقط ويستمر **فى سقوطه** ويصر على السقوط فهذا حتماً يجعل عينى المسيح تبكى من جديد على أورشليم لأنها لم تعرف زمان افتقادها، وينتهى الأمر: «هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً» (مت ٢٣ : ٣٨).

أما **من يفكر فى مسرة يسوع يفكر جيداً قبل أن يخطأ هل ما سيفعله سيحزن يسوع أم لا**، والتدريب الذى كنا قد أخذناه أن نسأل يسوع قبل فعل أى شئ: لو كنت مكانى ماذا كنت ستفعل؟ فلو أجاب فى الأعماق أن نفعل فسنفعل، ولكنه لو أجاب أن هذا ليس لى فيكون **نوع من الضياع أن يصر الإنسان على عمل مشيئته دون أن يسّر يسوع بل يحزنه**.

إن حياة التوبة ليست مجرد رجوع لكنه إيمان، والإيمان عمله أن نرجع بأنفسنا ولا ننتظر أن يرجعنا أحد لأنه **لا يوجد من يردنى غير نفسى التى تحبه وقلبى الذى يشتاق أن يسره، وإيمانى بأن الخطية تميت الحى**.

إن التوبة تحيى من كان ميتاً، والله لن ينسى من يجاهد بإيمان.. فإن جاهد إنساناً ليترك فكر شرير سيعطيه فى الحين الحسن الأجرة

النقية العفيفة.. وإن جاهد إنساناً **من أجل المحبة** واحتمل من يهينه ويسيء إليه بإيمان أن الاحتمال **من أجل المحبة** ليست قهراً للإنسان ولا لكرامته، ولكن ورائه أجرة كبيرة فسيعطيه الأجرة.

عدم الارتداد فى التوبة يُسِّره:

إن أعمال التوبة كلها لا يمكن أن تصدر إلا عن إيمان. ولكن الارتداد عن الإيمان لا يفرح المسيح: «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا **وَإِنِ ارْتَدَّ لاَ تُسَرُّ بِهِ نَفْسِي**» (عب ١٠ : ٣٨).

من أجل ذلك العمل الذى تبدأ به فى التوبة لا تتراجع عنه.

إن صلاة المزامير للتائب هى قانون، وعندما يبدأ بالصلاة تفرح به الملائكة ويسر به المسيح إذ أنه يذكره فى وسط الشعوب ويرفع يديه أمامه فى أوقات مختلفة من النهار، وربما بصلاته هذا يصد الله غضبه عن العالم وعمن ينساه من الناس.

لقد استلمنا من داود النبى أن نقول: «سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي النَّهَارِ سَبَّحْتُكَ عَلَى أَحْكَامِ عَدْلِكَ» (مز ١١٩ : ١٦٤) **فمهما كانت المسئوليات يجب أن يكون التائب نشطاً دائماً فى الصلاة وفى**

مواعيدها، فقانون الصلاة فى حد ذاته يعطى للإنسان بركة.

فالوقوف أمام الله هو كالشمعة عن العالم أمام الذى من أجلنا احترق بسبب خطايانا أمام عدل الله على الصليب.

لهذا الآباء القديسين فى قوانينهم النسكية وفى كل قوانين الشركة قد وضعوا عقوبات محددة لمن لم يحضر صلاة المزامير مشتركاً مع الجماعة..

وقد ذكر القديس نيلس السينائى أنهم كانوا فى صلوات السواعى يخرجون من مغائرهم كخروج السحالى من مغائرها حتى يلتقون فى الصلاة، ومن كان يتغيب كان يُحرم من الطعام أسبوعاً.

إن المسيحى الذى يقف للصلاة ينوب عن قطاع من البشرية قدام الله، وهذا يُسِّر يسوع.

إن صلاة كيرياليسون يارب ارحم رغم أنها صلاة قصيرة إلا أنها تُفرِّح قلب الله، والشاهد على ذلك هو القديس مقار الكبير الذى شهد أن الإخوة بينما كانوا يصلون يارب ارحم كان يرى أكاليل نازلة من السماء على رؤوسهم تجعله يفرح بهم فرح لا يوصف.

فصلاة «كيرياليسون» **منطوقها** بسيط ولكنها إيمان.. وصلاة المزامير يمكن أن تصلى **فى أى مكان**، وذلك كما يقول الآباء أنه إن كانت اليد مشتغلة فليكن **العقل** مزمراً، ففى أى وضع يمكن أن نذكر الله ونقدم عمل التوبة الظاهر فى الصلاة، فلا يمكن أن يعيش إنساناً التوبة وينسى إلهه وينسى موعد صلاته.

كثير منا يرتد عن صلاة المزامير ويقول إنها كلام محفوظ غير معزى، ويكتفى بالصلاة الإرتجالية، فتكون هذه نكسة شديدة فى الروحيات، إذ يبدأ الإنسان بأن يكتفى بالصلاة الإرتجالية ثم بعد ذلك تأتى لحظات ولا يستطيع أن يكمل الصلاة، أو لا يجد كلاماً يقوله ويكون هذا ناشئاً من الخدعة التى قد خُدعوا بها بأن صلاة المزامير غير معزية.

أما القديسون بلا استثناء فصلاة المزامير عندهم عمل من أعمال التوبة الذى بدأ ولم ينتهى..

ولهذا فعند رقاد أحد الأحباء أول ما نعمله هو أن نصلى بالمزامير وبالتسبحة، وفى صلاة الجنازة نفسها تصلى ذكصولوجيات أو جزءاً من التسبحة لأننا قد تسلمنا أن المزامير هى وسيلة من وسائل التعبير

عن التوبة لا تتوقف حتى عند الرحيل.

هناك مجموعة كانت مرتبطة بعضها ببعض فى محبة قوية، وكانوا يصلون يومياً صلاة نصف الليل، وفى يوم من الأيام اتفقوا أن يكتفوا بصلاة أبانا الذى وينامون، وبعد أن انتهوا من صلاة أبانا الذى ظهرت لهم السيدة العذراء فاتحة يديها قائلة لهم: اكملوا الصلاة!! وهذا يُظهر لنا أهمية صلاة المزامير فى حياة التوبة واستمرار القداسة فى حياتنا، وهى ليست سهلة ولكنها قد تكون صعبة ويتخللها شرود وممتلئة متاعب، ولكن القديسين فى السماء يسلمونا على الأرض أهمية صلاة المزامير بالنسبة لحياة التوبة لتفرح المسيح بالرجوع والبار بالإيمان يحيا وإن ارتد لا تُسَّر به نفسه.

فعل الخير والتوزيع يُسِّره:

من الأشياء التى تُسِّر الله التوزيع وذلك كما قال الكتاب المقدس «**لاَ تَنْسُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعَ لأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هذِهِ يُسَرُّ اللهُ**» (عب ١٣ : ١٦)، وهنا يقول «فِعْلَ الْخَيْرِ»، فهناك فرق كبير بين فعل الخير ونية فعل الخير، فالنية تعبر عن الإيمان، والفعل يعبر عن

العمل، فإن كانت هناك نية **يجب أن تُكمل** بالفعل، وفعل الخير ليس له اسم ولا مكان ولا إنسان.

وتعبير «التوزيع هو الذبيحة التى تسر الله» هو الذى شجعنا فى خدمة إخوة المسيح بتوزيع أى شئ مهما يكن صغير.

ويمكن أن نعيش التوزيع فى حياتنا اليومية، بتوزيع أى شئ سواء طعام أو ملبس، ولا نفكر فى الغد، ويمكننا أن نتعلم هذا لو نظرنا إلى العصفورة مثلاً، فلو وضعنا لها أردب من قمح لا تأخذ منه سوى حبة واحدة وتجرى فرحانة بها، فلا تكنز منه للغد.

فمن الأشياء التى تحزن المسيح الاكتناز، **فالله يعطينا الخير لنوزع منه لأن هذا يسره**، كما يقول الكتاب «فَرَّقَ أَعْطَى الْمَسَاكِينَ بِرُّهُ قَائِمٌ إِلَى الأَبَدِ» (مز ١١٢ : ٩)، وكما فعل السيد المسيح فى معجزة الخمس خبزات والسمكتين إذ صلى وشكر وكسر وأعطى التلاميذ ليوزعوا، **فالبركة دائماً يلازمها التوزيع**.

وفعل الخير يجب أن يلازمه التمييز، فيمكن أن تعمل خير يؤول إلى هلاكك لو فعلته بدون تمييز، فلو كنت شاباً وفعلت الخير مع شابة يمكن أن يُفهم هذا الخير خطأ، ويمكن أن يؤول

إلى انحراف وهلاك، **فيجب أن تميز فى فعل الخير**، فيمكنك أن تقدم العطية للأب الكاهن **أو شخص** مسئول ليقوم بتوصيلها لمن تريد مساعدته.. حتى إذا **فعلت الخير** تفعله أولاً بنفسك، ولا تفعل الخير الذى يقودك **إلى الهلاك** أو ضد ما يُسِّر المسيح..

ففعل الخير السليم هو الذى يخلص نفسك ويخلص معك الآخرين لكى يُسر الله.

إن صلاة المزامير قانون للتوبة لا يوجد فيه تساهل، قانون فعل الخير لا يوجد فيه تساهل، وقانون التوزيع لا يوجد فيه تساهل، بهذه الثلاث ذبائح يُسر الله.

فلنجاهد فى حياتنا فيما يسر الله، فكما قال: «فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ» (يو ١٤ : ٢)، فليس من يجاهد فى واحدة كمن يجاهد فى الكل..

قراءة كلمة الله تُسِّره:

قال الله فى سفر إشعياء: «هكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ تَرْجِعُ إِلَيَّ فَارِغَةً بَلْ **تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ** وَتَنْجَحُ فِي مَا

أَرْسَلْتُهَا لَهُ» (إش ٥٥: ١١)، **فكلمة الله أو وصاياه ليست هى أداة عقيمة، لكنها تحمل من الله كل سماته.**

وأول سماته هو الإثمار الذى تجعل لكلمة الله عمل، وهذا العمل هو النجاح فى مقاصد الله التى دبرها، ولهذا يشعر الإنسان مع أهمية قراءة كلمة الله أنه يأخذ من الله الكلمة التى تصنع فيه ما يُسِّر الله.

وهنا يشعر الإنسان بأهمية أخذ كلمة الله يومياً (أى وصاياه)، **وليست أهمية قراءة الكتاب المقدس فى القراءة النظرية أو الدراسية لكن فى أخذ القراءة كفعل سار ستصنعه كلمة الله فىَّ** فأسِّر الرب فى هذا اليوم.

وكلمة الله حتماً ستعمل فىَّ مهما كانت خطيتى، كنقطة الماء التى تنزل على حجر مهما كانت قسوته حتماً ستترك فيه أثراً، **فإن أردت أن أفرِّح الله أقرأ كلامه يومياً بهدف أن تصير لكلمة الله مسرَّة عنده بما تصنعه فىَّ.**

ولذلك فإن فتح الحواس أثناء استيعاب كلمة الله جزء أساسى من التطبيق العملى لمسرة الرب بكلمته فىَّ، **ففتح الحواس الخمسة**

سيؤدى إلى التقاط كلمة الله ويكون لها فعل مؤثر فى حياتى فيُسر الله بما تصنعه كلمته فىَّ..

وهذا ما رأيناه فى حياة القديس الأنبا أنطونيوس أبو الرهبان، كيف سر الله بالكلمة التى قرأها شماس فى الكنيسة فتحولت إلى هذا التراث الضخم من الخبرة الرهبانية فى محبة الرب وتطبيق وصايا الإنجيل، كلمة واحدة تُلقى فى قلب تصنع ما يسِّر الله، فالأنبا أنطونيوس دخل وهو يريد أن يسمع ماذا يقول الله له شخصياً، وهذا هو فتح الحواس.

وهذا يقودنى إلى نقطة أخرى فى ما يسِّر يسوع، وهى..

طاعة كلمة الله تُسِّره:

ما قيمة كلمة الله فى قلب لا يعيش الطاعة لوصاياه؟ **ما قيمة أن يقرأ الإنسان كثيراً ويقدم ذبائح كثيرة ولا يوجد فى حياته طاعة فعلية**، والرب لا يسر بقراءته أو ذبائحه؟!

فيرد علينا رب المجد على لسان صموئيل النبى ويقول: «**هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعٍ صَوْتِ الرَّبِّ.**

هُوذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ» (١صم ١٥ : ٢٢).

فلم يلغى الله الذبيحة، ولكن وضع الفضل للطاعة، أى أن **طاعة الكلمة عنده أفضل من الذبيحة**، وأكدها فى نفس السفر فقال: «لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ. وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ» (إش ١ : ١١)، فهناك من يبحث عن ذبيحة (خروف مثلاً) ويدقق جداً فى اختياره لكى يكون بلا عيب ويشتريه ويقدمه، ولكن هذا لا يسر الله، كما قيل فى سفر المزامير: «بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ» (مز ٤٠ : ٦)، فهنا داود النبى يكلم ربنا الذى عرفه وعرف قلبه أنه بالذبيحة والتقدمة لا يُسَرّ.

وفى جزء آخر يقول: «دَعَوْتُ فَلَمْ يَكُنْ مُجِيبٌ تَكَلَّمْتُ فَلَمْ يَسْمَعُوا بَلْ عَمِلُوا الْقَبِيحَ فِي عَيْنَيَّ وَاخْتَارُوا مَا لَمْ أُسَرَّ بِهِ» (إش ٦٦ : ٤)، معناها بمنتهى الوضوح أن سماع كلمة الله أى الطاعة لكلمته التى أقرأها باستمرار ومع تركيز شديد فى فتح حواسى لها تفرّح قلب الله أكثر من الصلوات ـ مع أهميتها ومع أنها ذبيحة

تسرّ الله ـ **فما قيمة أن أرفع** ذبيحة من صلوات صباحية ومسائية، وما قيمة أن أقرأ كلمة الله بتوارد وكثرة ويوجد عندى إصرار على طرقى الشريرة، والله يقرع على قلبى من خلال كلامه وأنا لا أطيعه؟!

والعجيب أن ميخا النبى يقول تعبيراً رهيباً جداً أرجو أن تعرفوه جيداً، فيقول «بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ. هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ بِعُجُولٍ أَبْنَاءِ سَنَةٍ. **هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ بِرِبْوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ** هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ مَعْصِيَتِي ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي. قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ. وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعاً مَعَ إِلهِكَ» (مى ٦ : ٦ـ ٨) لا يمكن أبداً أن تكون كلمة ربنا مهما قرأتها بكثرة ومهما قدمت صلوات قال عنها هنا أنهار زيت ـ والزيت يرمز للروح القدس ـ أى صلوات روحية متجددة كنهر، **فمهما قدمت من صلوات كثيرة ومهما قدمت من قراءة كثيرة وليست لى طاعة لكلمة الله فلا أنتفع شيئاً.**

ومن أجمل الأمثلة فى الطاعة هو شخص الرب يسوع نفسه،

فوجوده فى الجسد كابن للإنسان يدل على أنه ألزم نفسه وهو إله بفعل الطاعة كعمل يحياه من أجل اكتمال فكر الله فى خلاص البشرية، وهذه هى الطاعة التى علمها لنا السيد المسيح ليس بالكلام ولكن بالفعل، وهذه الطاعة لخصها معلمنا بولس الرسول: «أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ» (فى ٢ : ٨) أى أنه قدم فى فعل الطاعة حياته كاملة ليصل إلى الموت من أجل إكمال إرسالية الآب للابن لأجل خلاص البشرية.

ولأجل هذا أعلن الآب من السماء وبوضوح شديد مرتين فى فترة تجسد الابن: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مت ١٧ : ٥)، مرة فى العماد، ومرة فى التجلى، وأكمل فى التجلى «لَهُ اسْمَعُوا» (مت ١٧ : ٥) وذلك لأنه سمع وأطاع فينبغى أن يُطاع، فهو الشخصية الوحيدة فى الوجود كله التى عاشت الطاعة بأسلوب فيه مسرة للآب.

ويقول مار بطرس الرسول الذى كان واحداً من الثلاثة الذين شاهدوا حادثة التجلى: «لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ بَلْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لأَنَّهُ أَخَذَ

مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْداً إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى **هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ**. وَنَحْنُ سَمِعْنَا هذَا الصَّوْتَ مُقْبِلاً مِنَ السَّمَاءِ إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ» (٢بط ١ : ١٦ـ ١٨)، فهذه الشهادة من واحد سمع بأذنه مسرة الآب بالابن فى ذات الطبيعة الإلهية لمجرد أن الابن حمل اللحم الإنسانى بكامله بلا خطية أى أطاع ووضع هذا تحت نير فعلى للطاعة.

فالطاعة الحقيقية هى الطاعة التى يطيعها الإنسان رغماً عنه، فما يفعله الإنسان بالمزاج ليس طاعة، وما يفعله بالانسجام لا يوجد فيه نير الطاعة.

فيجب أن نخضع لكلمة الله ونجعل السيادة باستمرار لكلمة الله فى حياتنا.. ونعطى فرصة لكلمته أن تعمل فينا بفتح حواسنا والمواظبة على القراءة وفى نفس الوقت كل ما يقع تحت الحواس المركزة المفتوحة يوضع فى موضع التطبيق الذى نشعر فيه بالإرغام وليس بالاختيار، وبذلك نصل فى النهاية إلى ما يسرّ الله.

وربنا يسوع المسيح هو النموذج الذى أطاع وفى طاعته كان فى ملء اللاهوت ومع ذلك كانت مسرة الآب أن يعيش سحق الحزن،

فقد قيل عنه فى سفر إشعياء: «لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِه غِشٌّ. أَمَّا الرَّبُّ **فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ**. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ» (إش ٥٣: ٩، ١٠).

وقد ردد القديس بولس الرسول نفس التعبير الذى قاله إشعياء النبى بعده بآلاف السنين إذ قال: «نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ» (عب ١٢: ٢).

فكلمة «احتمل الصليب» ترينا معنى الطاعة لأن الصليب عار ولكن فعل الطاعة حوله من عار إلى إفتخار، لأنه وجد من يصعد عليه وهو بار وقدوس، يشرب كأس آثام البشرية كلها وهو لم يصنع شيئاً رديئاً، ولكن يقول: «فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ» فالسحق الإجبارى إذاً مرادف لكلمة طاعة.

إن من يريد أن يُسِّر الله يفعل ما يريده الله، فإن كانت مشيئة الله أن أبكر إليه فحتى إن كنت أحب التأخير فى النوم فسأبكر لكى أسِّره، حتى وإن كان هذا ثقيل علىَّ ولكنى سأطيع لكى أصل معه

إلى رتبة الابن الحبيب، **لأن الحب يجعلنى أصنع كل شئ حتى ولو كان مكرر وروتينى باللذة، فتعطينى تجديد مستمر يجعل الطاعة شئ محبب إلى النفس**.. فمن يحب إنساناً يجد سعادة أن يصنع له ما يحبه، حتى لو كان فيه تعب له، وحتى لو كان هذا صليب له.

ولو عشنا الطاعة لكلمة الله فنحن نحنى ذواتنا ونسحق بالحزن لكى نفعل ما يُسِّر يسوع.

سُرَّ أن يعطيكم الملكوت:

يقول معلمنا مار بولس الرسول فى الرسالة إلى أفسس: «كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ» (أف ١: ٤، ٥).

كلمة اختارنا تعنى أنه قد اختارنا فى المسيح وأفرزنا من وسط ملايين الناس لنكون له ونحمل اسمه وسط الناس..

وقد اختارنا ليس بالأمس ولا أول أمس ولكن قبل تأسيس العالم

https://coptic-treasures.com/

كنا فى فكره، وهذا يشرفنا أننا أعزاء عنده.

وقد اختارنا لما لا نستحقه ولنعمة لا ندعيها، اختارنا لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة.

فالذى يدخلنا إلى الملكوت هو القداسة، فليس التكريس أو لبس ثوب له أو النطق باسم جديد أو تغيير وضع باسم التكريس هو الذى يدخل إلى الملكوت، وذلك لأن المكرس أى المخصص لله يشعر فى أعماقه أن تقديره ضعيف أى راسب، أما **القداسة التى تدخلنا إلى الملكوت هى تقديس كل لحظة فى حياتنا من أجل الهدف الذى إختارنا لأجله، فنصلى بتركيز ونخدم بتركيز ونعمل كل شئ بتركيز كأن هذه اللحظة الحاضرة هى كل ما نملك فى الوجود،** فنصب فيها كل حبنا لذلك الذى اختارنا قبل تأسيس العالم.

وللقداسة ثلاثة عناصر هى: الوقت والامتحان والمكافأة.

أ ـ الوقت: فالله يعطينا الوقت لنذاكر جيداً، كل يوم نرى الشمس أو القمر أو نشم الهواء فهذه فرصة فى عمرنا يعطيها لنا الله بطول أناة ولطف وإمهال وذلك حتى نستخدم الوقت كما يليق باختياره لنا.

فالوقت بالنسبة لمن يفكر فى القداسة له أهمية كبيرة، لا توجد عنده دقيقة واحدة فارغة فكل وقته مشغول، بل إنه يشعر أن الوقت كلما يمر فهو يقترب من الإمتحان.

ب ـ الإمتحان: والإمتحان يأتى بأسئلة غير مألوفة يحتاج إلى ذكاء فى إجابته حتى أستحق درجة المقبول وأدخل السماء.

أبونا إبراهيم وُضِع فى إمتحان غير مألوف بأن يذبح ابنه فآمن إبراهيم فحسب له وجمعت درجات.

ولكى نكون قديسين يجب أن نكون «بلا لوم أمامه» أى أن هناك دعوة للكمال: «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ هُوَ كَامِلٌ» (مت ٥: ٤٨).

فعندما نقرأ الكتاب المقدس ونكتشف نقص فى حياتنا ونكتشف أن المشوار طويل وينقصنا الكثير لأن «لِكُلِّ كَمَالٍ رَأَيْتُ حَدّاً. أَمَّا وَصِيَّتُكَ فَوَاسِعَةٌ جِدّاً» (مز ١١٩: ٩٦) فنعرف أن أمامنا جهاداً كبيراً ينتظرنا، فلا نجد لدينا وقت لنضيعه، فنعمل ثم نلتقط الأنفاس ونأخذ فسحة من أجل تجديد الطاقة لاستئناف العمل.

والفسحة هنا فى تجديد الوقت أو فى السعى وراء الكمال تسمى الخلوة، وفيها يشعر الإنسان بنداء الله فى أعماقه فى وسط الهدوء والصمت، فيشير له على النقص الذى يعيشه وكم يحتاج إلى تعب وجهاد أكبر، لذلك يقول: «بِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ»، فربما يجد الإنسان نفسه بلا لوم أمام الناس أو أمام نفسه ولكن أمام الله يوجد ناقصاً، فمن ذا الذى يشعر أنه قديس أمام الله!!

فمن يسعى فى طريق الملكوت يجد فيه تكريس وفيه قداسة وفيه طلب للملكوت بالكمال الذى يكتشفه بالوصية الإلهية التى تشير إلى نقص فى كيانه وفى فكره وفى تصرفه ينتظر منه جهاد لكى يسعى نحو الملكوت.

«كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ» (١كو ٣: ٨) ويقول السيد المسيح: «فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ» (يو ١٤: ٢).

ويقول الكتاب المقدس: «إِنْ سُرَّ بِنَا الرَّبُّ يُدْخِلُنَا إِلَى هذِهِ الأَرْضِ وَيُعْطِينَا إِيَّاهَا أَرْضاً تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً» (عد ١٤: ٨)، لا أنسى عنقود العنب الذى جاءنى من القدس، حبة العنب فيه كبيرة كالمشمش ولا توجد فيها بذر قد جرحت حنجرتى من حلوها ولم

أستطيع أن أكملها، وقد أحسست أن الله قد أرسلها لى ليوضح لى الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً.

جـ ـ المكافأة: إن المكافأة غير الأجرة، فالأجرة سيأخذها كل أحد، أما المكافأة فهى أكبر، فسيقيمنى على جميع أمواله حتى بعد الموت، فمعناها أننى يمكن أن أخرج من الجسد وأصبح فى نظر الناس ميتاً وهو يقيمنى على عشر مدن كما ورد فى المثل الذى قاله السيد المسيح (لو ١٩: ١٧)، لأن صاحب الرسالة هنا الذى اكتشف الملكوت ومن أجله أحنى نفسه بالطاعة لكلمة الله، فمثل هذا الإنسان لا تنتهى رسالته بانتهاء الجسد إنما يصير له سلطان على رسالة أكبر وعمل أكبر..

فالإنسان فى الجسد لا يستطيع أن يعيش فى الماضى لأن الماضى يتعرض معه لضعف الذاكرة، حتى حنان الله يمكن أن يُنسى، ولا فى الحاضر لأن الحاضر الذى نحياه كثافة الجسد وشهواته تمنعنا أن نعيشه بصدق، أما المستقبل فلا نستطيع أن نجد له عندنا إلا مجرد التنبؤ والخيال، ولكن بعد خروج الروح من الجسد تخرج معها الذاكرة فلا يوجد ضعف فيها بل تظل تتذكر لكل شئ، وفى

الحاضر لا توجد كثافة للجسد فيتحرك بسرعة شديدة، أما بالنسبة للمستقبل فبالنسبة للإنسان الذى عاش منتظراً للملكوت يكون عنده معروفاً غير مخبوءاً فلا ينشغل على المستقبل لأنه يطمئن أنه فى يد من يحبه.

فالإنسان الذى يعيش الطاعة الفعلية لكلمة ربنا ينكشف أمام عينيه ماذا يعطيه الرب من مكافأة، ليس أجرته فقط بل ويقيمه على الرسالة الأكبر حتى بعد فناء الجسد.

فالقديس مارجرجس ومارمينا ومارمرقس والسيدة العذراء مريم لم تنتهى رسالتهم، ولكن قد أقامهم الرب بقدر أمانتهم وطاعتهم لكلمة الرب على رسالة أكبر وأعظم .

الطفولة الروحية تُسِّره:

قال السيد المسيح: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ.. لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذه عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ لأَنَّ هكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ» (لو ١٠ : ٢١).

من يعيش الطفولة الروحية سهل عليه جداً طاعة كلمة المسيح،

وذلك كالتلاميذ الذين دعاهم السيد المسيح ليسيروا وراءه فساروا وراءه فى الحال، **بطرس الرسول الذى ترك كل شئ وتبع المسيح عندما قال له اتبعنى قد تحول من حفنة رمل إلى صخرة عليها يُبنَى الإيمان وعليها تأسس نفوس تعيش للمسيح بالتوبة.**

لا يستطيع أحد أن يعى حقيقة الملكوت التى رمز إليها سفر العدد بالأرض التى تفيض لبناً وعسلاً، ومسرة الرب أن يعطيها لنا إلا المتواضعين.. وكلمة متواضع يشرحها الكتاب المقدس فيقول: «يَارَبُّ افْتَحْ شَفَتَيَّ فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ. لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ» (مز ٥١ : ١٥ـ ١٧).

لهذا **من يعيش بالروح المنكسرة تكون صلاته تقدمة تامة**، من يصلى بدون تشامخ ولكن يصلى بروح منكسرة ويشعر بانكساره أمام أبسط الخطايا وقهره من أضعف الشهوات، فهذا يعطيه الله أن تكون الطاعة سهلة عنده، فهكذا **المتضعين الطاعة دائماً سهلة عليهم.**

إن الاتضاع هو أم والطاعة هى ابن، فالطاعة تتولد عندما يوجد فى القلب اتضاع، والسحق الإجبارى لا يأتى إلا بالروح المنكسرة.

وقد التفت السيد المسيح إلى التلاميذ وقال: «طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ. وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَاراً كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا. وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا» (مت ١٣: ١٦، ١٧).

هذه هى لذة الطفولة الروحية إذ تجعل الإنسان يشاهد أو يسمع ما لم يشاهده أو يسمعه من كانوا حكماء وملوك وذوى سلطات وسيادات على أنفسهم أو على آخرين.

والحقيقة هبة الملكوت كمسرة للآب تكتمل عندما يكون هناك خدام للملكوت هدفهم إن تحركوا أن يصبح هناك منظر ملكوتى يذكّر الناس بالملكوت، وهذا يقتضى أن يفرز الرب خدام للملكوت وأن يدعو الرب خدام للملكوت. وذلك كما قال بولس الرسول فى الرسالة إلى غلاطية: «لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ» (غلا ١: ١٥، ١٦).

فكم يفرح المسيح عندما يجد خادم يقبل مشيئته فى أن يُفرز ويقبل دعوته حينما يناديه، ويترك مشيئته الخاصة رغم أن الله

أعطى الحرية لكل إنسان، فقد يسمح للزانى أن يزنى ولكن هذه ليست إرادته، يسمح للظالم أن يظلم ويسمح للسارق أن يسرق ولكن هذه ليست إرادته أو مشيئته، ولكن الذى يفعل إرادته ومشيئته هو الذى يُفرِّح قلبه، لهذا قيل عن داود النبى أنه «رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي» (أع ١٣: ٢٢).

كثير من الذين أفرزهم الله كانت بهم عيوب خلقية فى الجسد أو عيوب فى الروح، فموسى النبى مثلاً كان لسانه ثقيل فى الكلام ولكن اختاره الرب ليقف أمام فرعون، فأطاع موسى ونفذ مشيئة الله وكان يكلمه فماً لفم. ولم يوجد مثل موسى قد شاهد العليقة المشتعلة فقال «أَمِيلُ الآنَ» (خر ٣: ٣) أى ميَّل عواطفه وإرادته نحو الملكوت ونحو مشيئة الله.

هناك من ينفذ مشيئته الخاصة، ويرفض إفراز الله له، فالله لن يرغمه ولكنه سيتركه يعمل ما يريد حتى لو لم تكن كإرادته، وذلك كما يسمح بالشر وشبه الشر فى وسط الناس، ولكن **إرادته أن الذين يفرزهم يطيعون إفرازه لهم، والذين يدعوهم يستجيبون لدعوته.**

حينما يدعو الرب من يفرزه ولا يستجيب فلن ينقطع عن

الدعوة، ولكنه سيدعو الزناة والعشارين، الذين سيسبقوننا بينما نقف نحن خارجاً حيث البكاء والعويل لأنه دعانا ولم يكن مجيب (مت ٢٢ : ٢ـ ١٤).

بولس الرسول كان يسير فى طريق مختلف تماماً، فكان يهدد ويقتل التلاميذ، فدعاه المسيح وقال: «هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي.. لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي» (أع ٩ : ١٥).

فقد سُر الله بأن يسحقه، وقد اختاره وفى ترتيب حياته الأخطار واللصوص والمعاناة والسجن، لذلك قال «سأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ» وذلك لكى يكون فى النهاية هو بولس الذى يطبع حبه فى كل قارئ لرسائله فى العالم وفى كل الأجيال.

ربما تكون الدعوة بأن يظهر الله لك نور بوضوح أو يسمعك صوته دون من حولك، فتشعر أن هذا شرف لك ونعمة لا تستحقها، فترد «هأَنَذَا أَرْسِلْنِي» (إش ٦ : ٨) «أَنَا أَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِكَ» (١مل ٥ : ٨) **سأعيش فعل الطاعة حتى ولو كان هذا الإختيار ضد نفسى ورغباتى وضد آمالى فى الحياة**، ولكن اصلب العالم لى وأنا

للعالم، ضع فى يدى آخر مسمار تصلب نفسى للعالم والعالم لى لكى أتمم ما أفرزتنى لأجله قبل تأسيس العالم، ولكى أكون قديساً وبلا لوم قدامك فى المحبة، ولكى تقول أنت قد تكمل فى حياة ابنى اختياره ودعوته إلى ميراث الملكوت.

الفرز إذن أن يخرجنى الرب عن دائرة مشيئتى والطبيعى فى حياة الناس، فالناس كلها تأكل وتشرب أما أنا فيعلمنى الصوم، ثم يعلمنى شيئاً آخر جديداً ثم ثالث ورابع، ثم يفرزنى للملكوت الذى أعدده لى قبل إنشاء العالم.

إن ما يُسِّر الرب أن يكون هناك إفراز ودعوة مستمرة لخدام الملكوت، وفى كل مرة يفرز ويدعو فيها فهؤلاء المفرزين والمدعوين يكونون فى مسرة مشيئته وطاعة مشيئته فتفرح بهم السماء كقول الكتاب: «يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لو ١٥ : ٧)، فإذا أتيح لإنسان فرصة الدعوة والإفراز لكى يقبل للملكوت ويجاهد ليأخذ جيد وجيد جداً فأمامه الفرصة أن يجاهد أكثر ويأخذ امتياز. إذن فجميعنا ينتظرنا جهاد كبير للقداسة وجهاد للسعى نحو الكمال لكى نكون بلا لوم ولكى نُسِّر يسوع.

فى كل مرة نغالب النوم لكى نصلى نفرحه، وفى كل نجاهد لكى لا نرد على إساءة نفرحه، وسنأخذ أجرتنا، وليس فقط أجرة ولكن امتداد لرسالة أكمل وأشمل وبسلطة أكثر اتساعاً على العالم والوجود كله.

أرجو من خلال هذا الموضوع أن نراجع أنفسنا من منا يريد أن يسرّه؟ وفى ماذا نسرّه؟ وماذا بدأنا به لنسرّه؟ فهو ليس كلام نظرى لكن أرجو أن يكون تطبيقى نعيشه ونفكر فيه ونهضمه ونشعر أنه مسئولية سنطالب به فى ماذا قدمنا لنسرّ يسوع.

كثيرون يعيشون كثيراً ولم يستطيعوا أن يسّروا يسوع، ولكن **هناك أشخاص عاشوا عمراً قصيراً ولكنه مركز فى حبه، فيكون لهم رسالة قوية تمتد حتى بعد الأجيال وبعد الموت وبعد الزمن.**

ليتنا نعيش عمرنا مركزاً فى محبته، نعمل إرادته وما يسرّه.